النعمة والحق

أفتتاحية العدد بقلم: لاري اوندر جاك

بعد عمله الكامل امتلكنا صديقاً قوياً

في صلاته– له المجد – للآب قبيل الصليب قال الرب: "أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ." (يو١٧: ٤، ٥). لقد تكلم عن "العمل الذي أكمله" بالارتباط بمجده. وماذا يعني ذلك فيما يتعلق بنا؟

حسبما سجل كاتب العبرانيين فهذا يعني أنه "بعد أن صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا" فوق الصليب فإنه "جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عب١: ٣) وإذ نفكر في ذلك في ضوء ما قاله في (يو١٥: ١٣، ١٤) "لا أعود اسميكم عبيداً بل أحباء" نكتشف أننا أصبحنا نمتلك– نحن المؤمنين– صديقاً قوياً جداً في أعلا مكان؛ في السماء. وكم هو قوي فعلاً؟ إنه وارث لكل شيء وبه كان كل شيء وهو حامل لكل الأشياء (عب١: ٢، كو١: ١٦، ١٧).

إنه لم يجلس هناك فقط؛ إنه فعلاً "يشفع لنا" (رو٨: ٣٤) أو "يدافع عنا" بمعنى أوفى– إن لنا صديقاً في السماء يعرف ضعفاتنا لأنه "مُجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية" (عب٤: ١٥) فنستطيع أن نلتجئ إليه مباشرة في أي وقت لأنه "حي في كل حين يشفع لنا" (عب ٧: ٢٥) ويكرر الكاتب في نفس الرسالة أيضاً هذه الحقيقة؛ إذ أنه في السماء "ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب٩: ٢٤).

وهذا الشخص العظيم "مُكلل بالمجد والكرامة" من أجل عمله الكامل من لأجلنا (عب٢: ٩) "وفي وسط الكنيسة أسبحك" (ع١٢) وأصبحنا "ساجدين حقيقيين" مَن تكلم عنهم أنهم "يسجدون للآب بالروح والحق" (يو٤: ٢٣) ليس أننا فعلنا شيئاً ولكن لأجل ما فعله لأجلنا فوق الصليب وما يفعله لأجلنا الآن في السماء.

موضوع العدد (١) بقلم: مارتن جيرارد

بعمله الكامل لأجلنا أصبح ديننا مسدداً بالكامل

غالباً يُشير المبشرون إلى "كمال عمل المسيح" ومَن لا يألفون ذلك التعبير لا يدركون معناه. وقد يقعون في فخ استعمال تعبيرات مبهمة مما ندركه من مسلمات عندنا. فما هو أساس وأصل ذلك التعبير؟

في (يو١٩: ٣٠) نجد مفتاح معنى ذلك التعبير فبعد معاناته–له المجد– لمدة ست ساعات من الحزن فوق الصليب– وبعد الثلاث الأخيرة منها في دجى تلك الليلة– صرخ بصوت عظيم قبل أن يستودع الروح في يدي الآب. وفي بعض الترجمات ترد تلك الكلمات كجملة تامة Tetelestai وهي تعني "مدفوع بالكامل" ولها خلفية مشوقة. واستخدمها الرومانيون عند تحرير إيصالات الضرائب حينما تسدد الكمبيالات[١] وصرخة الانتصار تلك ترد في (لو٢٣: ٤٦) "وصرخ بصوت عظيم" والواقفون بجانب الصليب أدركوا معناها مما لا نعيه تماماً حالياً. فما عساه –له المجد– أن يعلن؟ وما هو ذلك الذي سُدّد بالكامل؟

ما نجده قد تم في العهد الجديد

ليس دائماً يتم وينتهي أي عمل. كثير من المشروعات الطموحة تبدأ بحماس ولكنها لسبب أو آخر تتوقف وخلال تجسده – له المجد – تكلم عن رجل بدأ في البناء ولم يستطع أن يكمله (لو١٤: ٢٨–٣٠) فيكون موضع السخرية لأنه ابتدأ ولم يستطيع أن يكمّل! وتاريخ البشرية ملئ بتلك الإخفاقات.

وضداً لذلك نجد عملاً كاملاً في صدر العهد القديم حيث يخبرنا الوحى في (تك٢: ١، ٢) "فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ" وهذا يلغي وينفي نظرية التطور.

---

[١]) ويقال أنها كانت تستخدم كصيحة انتصار للجندي الظافر، وصيحة فرح للفنان المبدع بعد أكتمال لوحته الجميلة.... وغير ذلك مما ينطبق على كمال عمل المسيح على الصليب (المجلة)

ونعود مرة أخرى لاستكمال النص (يو١٩: ٣٠) حيث نجد عملاً عظيماً تم انجازه ونجد الرب–أيضاً– قد استراح حيث نقرأ "ونكس(أو: أسند)رأسه" بعد صرخة نصرته. ويصوّر الناس منظر الصليب في وضع ملؤه الفزع والإجهاد إلا أن التعبير يعني أمراً مختلفاً جداً إذ أنه– له المجد– اتكأ برأسه بتأن ليتخذ وضعاً للراحة – كما على وسادة – ووجهه متجه إلى السماء. ومثلما تم في عمل الخليقة فهناك عمل عظيم قد تم على الصليب ومَن أتمه يستطيع أن يستريح وكم كان ذلك عملاً عظيماً.

عمل لم يتم في العهد القديم

تقدم لنا الرسالة إلى العبرانيين صورة عكسية، فالكهنة في العهد القديم كانوا مشغولين بعملهم وقلما استراحوا. فالكاهن – كما تذكر الرسالة – «وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ–وليس يجلس– كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَارًا كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا، الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ» (عب١٠: ١١) وكانوا يلتزمون بإجراءات صارمة في عملهم الروتيني اليومي لتقديمها على المذبح حينما كانوا في البرية أو الهيكل في أورشليم. ويخدمون –بصفة خاصة– في يوم الكفارة لذكر الخطايا لأن دم ثيران وتيوس لا يمكن أن تتعامل مع أصل المشكلة ولئن كانت الخطية تتطلب تقديم ذبيحة حيوانية وبالرغم من تقديمها بقي هناك "ضمير خطايا" ولم تكمل الذين يقدمونها (عب١٠: ١–٤).

كان الله يخطط لما هو أفضل من ذلك فنظام الذبائح التي كانت تقدم قبل صليب المسيح كانت مثالاً للحق الإلهي الذي كان مزمعاً أن يعلنه. ولم تكن تلك الذبائح الحيوانية تجلب له سروراً ولكن شيء آخر. وطاعة لذلك ارتضى المسيح أن يأتي إلى العالم ليبذل نفسه كذبيحة كاملة ونهائية عن الخطية على صليب الجلجثة (عب١٠: ٥–١٠) على خلاف الكهنة قديماً فإن عمله الكفاري قد تم. وبعد أن قدم وإلى الأبد ذبيحة واحدة متمماً ذلك العمل "جلس عن يمين الله" (عب١٠: ١٢) وعمله الكامل لا يحتاج إلى تكرار.

وهذا التوكيد الذي تعلنه الرسالة إلى العبرانيين يلقي الضوء على نظام الذبائح في العهد القديم ليعلن إتمامها وإبطالها أيضاً في المسيح.

توكيد الرب

إن رسالة كمال عمل المسيح تبعث على الراحة والأمان وإذا ما شابنا الشك فيما أنجزه لنا من عمل عظيم على الصليب فكيف يتأكد خلاصنا؟ وإذا لم يكن عمله كاملاً لافتضانا الأمر أن نشارك في إتمامه! وكيف يمكننا التأكيد واليقين بخلاصنا؟ وماذا عسانا أن نفعل؟ هل يمكننا إضافة أي شيء لعمله؟!

إن الإجابة البسيطة والقاطعة في آن معاً بالنفي. إننا لا نستطيع وإننا نقدّر ذلك الشخص العظيم الذي صرخ صرخة الانتصار على الصليب؛ الكلمة الأزلي؛ ابن الله الحي. فهو وحده " قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عب١٠: ٢٦) بلا خطية وأنجز عمله مرة واحدة بخلاف الكهنة قديماً ولن يتكرر (عب٧: ٢٧).

وإذ نتامل بتمعن شخصه وعمله كيف بنا نضيف شيئاً من عندنا؟ فما علينا إلا أن نقبله وعمله ونستريح على عمله الكامل. إن الخلاص الذي نلناه بالإيمان به لا يمكن تقديره. إننا مخلصون بنعمة الله بالإيمان " ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد" (أف٢: ٨، ٩) ولا يسعنا إلا أن نردد – بالتقدير والفرح – مع مَن قال: [مخلصي ليس لي إلا أن أتعلق بك]. ونأتي إليه خطاة تائبين إلى فادي قدوس؛ نُقر بخطايانا ونجاستنا ونعترف بمَن ناب عنا في حملها محتملاً دينونتنا أمام الله "حمل خطايانا في جسده على الخشبة" (١بط٢: ٢٤) نقبل إليه بالإيمان بعمله لأجلنا.

<u>قبولنا</u>

أعود فأذكرك –عزيزي القارئ – بالتعبير السابق الإشارة إليه ألا وهو Tetelestai بمعنى "مدفوع بالكامل" فكل منا تحت دين إذ أخطأنا ضد الله وتحت دينونتها لأنه قدوس ومخلصنا العظيم حمل دينونتنا وتم تسديد الدين كاملاً ألا تؤمن به أيضاً وتردد معي:

قد وفي ديني كله الحمل
عندما مات وقال حقاً قد كمل

"ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع٤: ١٢) وفي (عب٩: ٢٦) نقرأ " ولكنه –أي الرب يسوع – الآن قد أُظهر مرة عند

انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" فالدين تسدد بالكامل فكيف بنا كخطاة أن نُضيف شيئاً لعمل ابن الله؟ مستحيل ذلك ولا يسعنا إلا قبول ما أتمه بالإيمان شاكرين فضله مخبرين بتلك الأخبار السارة. "من ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم (لهم)" (عب٧: ٢٥).

وكمفديه نحمده ونشكره لأجل عمله الكامل فوق الصليب ونهتف ساجدين هللويا ما أعظمك فادياً!!

موضوع العدد (٢) بقلم: دافيد ر. رايد

تأملات واختبار العمل الكامل الذي اتمه المسيح

لا يُقبل كثير من المؤمنين على الدراسة المنتظمة للمبادئ المذكورة في كلمة الله. وإن مجرد ذكر هذه الكلمات نظير: لاهوت، تحليل لاهوت المسيح، دراسة الظواهر الروحية، علم الإنسان، كنسيات، واللاهوت الخلاصي، كافية لصد البعض. وببساطة فائقة بكل تأكيد أن المؤمن يجد حاجته المنشودة بأن الرب هو أوفى صديق. ولماذا يستخف المؤمن بمثل هذه المبادئ؟ فإن ذلك لسبب جوهري وحيد إذ أنه تعطينا دروساً كتابية وهي ذات فائدة عظمى لنمو المؤمنين.

إن معرفة الرب كمخلصنا وصديقنا أمر رائع ولكن علينا أن نتعمق في معرفة الحياة الجديدة في المسيح ولكنه يريدنا أن نعرف ما أعلنه الله بروحه القدوس في الكلمة عما يتعلق بالكنيسة، الملائكة، السماء، جهنم، الأحداث المستقبلية، الزواج والأسرة وغيرها كثير. وهذا يعني أن الكتاب المقدس ليس مجرد نشرة عادية بل نجد فيه ما يشدنا إليه إذ يتضمن تعليمنا عن الإلوهية فيما يتعلق بالله والتحليل اللاهوتي لشخص المسيح والظواهر الروحية للروح القدس وعلم الإنسان والبحث عن الخلاص عن طريق المسيح والأمور المتعلقة بالكنيسة والنبوات المستقبلية...

إننا في الحقيقة نجني الكثير الوافر في دراسة تلك الأمور وإن فهم ما يعلنه الله في الكتاب المقدس يقودنا إلى فهم أعمق عن الله ذاته.

مبدأ هام:

نجد مثلاً إن العمل الكامل الذي أتمه المسيح فوق الصليب هو مبدأ هام غير واضح وجلي تماماً أو جزئياً لدي كثير من المسيحيين. وفي الأساس فإن هذا يندرج تحت بحث الخلاص في وبالمسيح أي ما يعلنه الكتاب المقدس عن الخلاص. وباختصار فإن خلاص الإنسان من نتائج الخطية هو مجاناً وفي نفس الوقت مكلف. فمن جهة فإنه– أي الخلاص– هبة مجانية لكل من يؤمن بالرب يسوع المسيح كمخلصه الشخصي إلا أن الجانب الآخر لهذا الخلاص قد تكلف الكثير في الموت الكفاري لابن الله وهذا ما يشير إليه الكتاب عن كمال عمل المسيح إذ نقرأ في (يو١٩: ٣٠) "قال قد أُكمل". وهذا لا ينصرف إلى ولادته–له المجد– المعجزية ولا حتى حياته الطاهرة إذ أن

ذلك الكمال مقصود به وينصرف تماماً لموته فوق الصليب حيث تحمل دينونه الله للخطية إذ كان بديلاً لينجز لنا الخلاص. وهكذا نرى التكلفة الغالية التي تحملّها لأجلنا.

ويستخدم الروح القدس في العهد الجديد ثلاثة تعبيرات عن عمل المسيح الكامل وهي: الكفارة، الفداء، المصالحة. والآن لنتتبع كل من هذه التعبيرات لإدراك ما يعلمه الكتاب عن عمل المسيح الكامل.

١. الكفارة:

وهذا التعبير نجده في كل من (رو٣: ٢٥، عب٢: ١٧، ١يو٢:٢، ٤: ١٠) وهي تعني "ترضية الغضب بالذبيحة" إن إلهنا ليس متعطشاً للدماء كالحال مع الآلهة الوثنية فالكتاب يعلمنا أن الله محبة وهو يريد أن تكون للإنسان شركة معه إلا أنه قدوس وبار كذلك فهو لا يصفح عن الخطية تحت أي غطاء ويقول "أيها الإنسان كن ابناً" وفي الحقيقة فإن الكتاب أيضاً يعلمنا بأن الخطية موجهه ضد الله وتستثير غضبه (رو١: ١٨) ومبدأ الله في هذا العالم الذي خلقه يطالب بأن "أجرة الخطية هي موت" (رو٦: ٢٣) وقبل أن تمتد رحمة الله للإنسان لابد من إزالة وسخ الخطية لاستيفاء مطاليب غضبه عنها.

وهنا يعجز الإنسان؛ فليس باستطاعته أن يفعل شيئاً لنوال رضاء الله– وما تقتضي به العبادة الوثنية من عمل لكسب رضاها عن الإنسان ليس له مكان في عهدنا الجديد. فالله هو الذي ابتدأ بالتوجه إلى الإنسان كما نرى ذلك واضحاً في (يو٣: ١٦) إذ أعلن بأن غضبه ودينونته ضد الخطية تسبق منحه الخلاص للخلاص ونتائجه الذي يمنحه مجاناً. وهذا ما تم حينما بذل ابنه الوحيد عن خطايانا حيث أحتمل دينونته للخطية ومات ليرفعها عنا إذ أرضاه تماماً.

٢. الفداء:

ونجد زاوية أخرى لذلك العمل الكامل ألا وهي الفداء. وأقرأ معي عزيزي القارئ (غل٣: ١٣، ١٤، ٤: ٥، أف١: ٧، تي٢: ١٤، بط١: ١٨، ١٩). وهناك كلمات رومانية كثيرة وردت في العهد الجديد تترجم "الفداء" وتشير إلى الحرية من العبودية وهما يشيران إلى ما تعنيه كلمة الفداء فهي تعني الشراء وسحبه من سوق البيع لتحريره فتعبير الخلاص يشير إليه الفداء كنتيجة للعمل

الكامل الذي أتمه المسيح في سبيل تحريرنا من عبودية الخطية مع كل ما تحمله من آثار ونتائج مرعبة.

وليس الفداء فقط هو شراؤنا وإطلاقنا أحراراً من سوق العبيد للخطية بل وأصبحنا أولاداً لله، عائلة الله أي أنه يفوق معنى العتق. إن التبني نجده في (غل٤: ٥) ليس كما هو معروف لدينا في يومنا الحاضر حيث يُعني مراسم التبني الرومانية حينما يبلغ الابن سن التمتع بالحقوق والامتيازات وكخطاة مفديين نصبح أولاداً في عائله الله ويالها من نعمة غنية!

وإن كنا لم ندفع ذهباً أو فضة (١بط١: ١٨) لنعلم بأن تكلفة فدائنا كانت غالية: الدم الغالي لفادينا ولا يعلمنا الكتاب بأن الفدية سددت للشيطان كما يقول البعض الأمر الذي يدحض أساس التحرير من سوق العبيد بل هو كان لاستيفاء- ببساطة – عدالة حكم الله التي كانت تتطلبها للعتق من آثار الخطية (عب٩: ٢٢) ألا يكون لدينا التقدير الكافي والشكر المتكافئ لفادينا الذي سدده عنا بكل الرضا؟

٣. المصالحة:

وهذا هو الضلع الثالث لمعنى كمال عمل المسيح. إن الكفارة وهي تتعلق بغضب الله هي جانب الله من ذلك العمل ورأينا أن الفداء يتعلق بالعتق من عبودية الخطية، وبالتالي أجرة الخطية من الوجهة الأخرى لعمل المسيح الكامل أما عن المصالحة فهي لجانب الإنسان المؤمن من الوجهة الثالثة لأن ذلك العمل يتعلق أيضاً بشركتنا مع الله. والمصالحة ترد في كل من (رو٥: ١،٢كو٥: ١٨-٢٠ ، كو١: ٢٠-٢٢) والمعنى الأساسي لهذه الكلمة في اليونانية تعني "التغيير الكامل" وفيما يتعلق بالخلاص فإن الله يُحضر الإنسان إلى علاقة مختلفة تماماً معه بعد عداوة وجفاء ونفور إلى صداقة وعاطفة وشركة ولاحظ – عزيزي القارئ – إن ذلك يتخده الله تجاه الإنسان لينشأ عن ذلك عواطف متبادلة بينهما. وليس كمبدأ "هو يعطي قليلاً ونحن نعطي- بدورنا – قليلاً". ولنتذكر بأن الله ليس بحاجه أن يغيّر مبادئه من نحونا ويلاقينا في منتصف الطريق. فنحن من جانبنا خطاة وأعداء (كو١: ٢١) فنحن يجب أن نتغير وليس الله.

ونجد تصويراً بديعاً للمصالحة في قصة الابن الضال التي ذكرها الرب في (لو١٥: ١١-٣٢) حينما تاب وأدرك خطيته لأبيه فقد قبله الأب وعاد الابن لشركة هانئة معه. فلم

تتم مجرد المغفرة ولا عودته إلى الميراث فحسب ولكن تم الترحيب به وسط العائلة وأحضانها في محفل مهيب.

ومن وجهة أخرى فإننا نجد أن ذلك العمل الكامل أصبح له أثاراً عالمية ولاحظ باهتمام وعناية ما نقرأه في (١يو٢:٢)، (٢كو٥: ١٩) فسنجد أن موت المسيح كانت كفارته غير محدودة بل كافية للعالم أجمع ولا يتمتع بهذا أي إنسان وكل إنسان إلا لمن يؤمن بهذا العمل الكامل.

تقدير العمل:

إن ذلك التقدير لا يأتي إلا نتيجة الإدراك الكامل للكفارة والفداء والمصالحة. ويالها من بركات يحظى بها المؤمن حينما يدرك ذلك ويستريح في المسيح.

موضوع العدد (٣) بقلم: هانك بوك

محادثة رمزية

العمل الكامل للمسيح منحنا حرية الدخول إلى السماء

المشهد: أنت تسمع طرقاً على الباب وإذ تفتح ترى شخصاً يحمل حقائبه. إنه غريب عنك ويحيك قائلاً سأدخل. ويجري الحديث كما يلي:

أجاب بإصرار : سأدخل

وتجيب: ولكنك لا تسكن معي هنا!

ويرد: أعرف ذلك جيداً. أخبرني أية حجرة أضع فيها حاجياتي

–ولكني لست أعرفك وهكذا ليس لك الحق في حجرة معي!

– لا تُعيقني ويندفع إلى الداخل ويضع حقائبه أرضاً ويكرر بالسؤال عن حجرته الخاصة ويردف قائلاً؛ أين العشاء؟

– وتقابل تصرفاته قائلاً: لست أعرفك وبأي حق تدخل بيتي؟

– دعني أصارحك بأنني أعرفك إذ سمعت عنك الكثير من مدة وبأنك لك ابن يعمل مبشراً، أليس كذلك وكثيرون يأتون إليك.

– ما هذا إنه وقت لخروجك آمناً.

– كلا بل سأبقى منذ دخلت.

وفي اضطراب تقول له "هل لديك حقك ملكيه هنا؟

وإذ به يجيب: "بالطبع لا ولكنني أعدك بأن تصرفاتي ستكون أحسن ما يرام كما وأنني أُحسن للفقراء وأعمالي الحسنة معروفة جيداً في بلدتي وهكذا فمن حقي أن أبقى هنا فأين غرفتي؟ وماذا عندك من عشاء؟

وبحزم تطالبه: "من فضلك أرحل الآن".

وإذ به يقول: لديك هنا الكثيرين يعيشون معك. أليس كذلك؟"

وتجيبه: "أي نعم، إنهم أولادي وأنت لست كذلك هل ولدت معهم؟"

- بالطبع لا. لكنني اعرف ابنك وطالما زرته في مكانه مع الكثيرين وبخاصة في أعياد الميلاد والقيامة.
- وفي لهجة حاسمة صرخت فيه قائلاً "أخرج. أخرج".

وماذا عساك – عزيزي القارئ – تفصل حيال موقف كهذا وتواجه شخصاً غرباً يريد أن يقحم نفسه للدخول إلى منزلك؟ أي حق له في ذلك؟ كلا على الإطلاق. أليس هكذا الوضع حينما يظن البعض عند حافة الموت بأنهم سيدخلون السماء حيث بيت الآب!

إن بيته كبير إذ أعلن الرب يسوع قائلاً "فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" (يو١٤: ١، ٢) وحيث هو صاحب البيت ذي المنازل الكثيرة فهو وحده يحدد النموذج الذي يقتضيه لقبول من يدعوه للدخل.

وفي الحقيقة فالشخص يجب أن يفحص ويختبر نفسه هل يرغب فعلاً ليوجد هناك حيث يوجد الله بقداسته (١بط١: ١٦) فالخاطئ الذي لا يتوب عن خطاياه لا يشاء أن يوجد في محضر الله الكلي القداسة، إن آدم وحواء لم يتوبا فخافا من الوجود في حضرة الله القدوس (تك٣: ٨-١٠) وحتى سمعان بطرس إذ اكتشف نفسه في حضرة الرب قال له"أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ" (لو٥: ٨) وهكذا نجد أنه لكي يوجد الإنسان في البيت الأبدي يجب أن يكون مقدساً والأمر الثاني الجوهري فإن الله محبة (١يو٤: ٨) ألسنا نجد في هذا أمراً مشجعاً؟ وهل يشعر الإنسان براحة أن يوجد في محضر الرب الذي لا يستطيع الشخص أن يتجنب وينأى عن محبته الجاذبة؟ بل بالعكس ينجذب إليه إذ تلمع أمام عينيه أفضل هبه إلهية ينالها الإنسان (يو٣: ١٨).

المتطلبات:

ويواجهنا تساؤل منطقي؛ إذ أراد شخص أن يذهب إلى السماء بالرغم من الشروط السابقة ما الذي يعطيه الحق بالدخول؟ إنه بيت الآب حيث يوجد وله السلطان أن يدعو مَن يدخل ومع تقديرنا لهذا فإذا اقتنع أحدهم بأنه يوجد مسوغ آخر للدخول إلى بيت الآب ومحضره فهذا بعيد عن الحق والحقيقة فالله في شخص الابن؛ ربنا يسوع المسيح قد أعلن أن مَن أراد الدخول فعليه أن يدخل عن طريق الباب (يو١٠: ٩).

فالله- عزيزي القارئ- هو وحده صاحب الحق والسلطان ليعلن لكل مَن هو مدعو للدخول كيف تأهل للدخول وكيف يتمتع بالوجود هناك وتُرى ما هي مقاييس الله في ذلك؟ إنه كالآب وابنه الرب يسوع المسيح يدعو الجميع للقبول (مت١١: ٢٨) والشركة أيضاً الأساس في ذلك هو أن يصبح المدعو باراً ومقدساً وهذا هو المعيار الإلهي للوجود في محضره تعالى. وهنا تكمن المشكلة؛ فليس بار ولا واحد (رو٣: ٢٣) ولا يمكننا أن نتبرر بمجهوداتنا (أم٢٠: ٩) فليست العمال الصالحة أو النشطة الدينية سوى فخاخ تبدو كافية للدخول (إش٦٤: ٦) ولا يمكننا اقتناء ذلك الدخول إلى حضرته (١بط١: ١٨، مر٨: ٣٧).

طريق الله

فكيف يمكننا الوجود في حضرة الله؟ إنه إزاء قداسته وفي محبته أعد لنا طريقاً بقوله: «هلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ.» (إش١: ١٨) فالخلاص من الخطية التي تفصلنا عن محضر الله وحظوة الوجود في بيته أعد خطة لتفعيل قداسته والإعلان عن محبته في آن واحد. وحيث أن أجرة الخطية هي موت؛ الذي هو الانفصال عن الله (رو٦: ٢٣) فهو لا يمحوها ما لم يتم سداد أجرتها لذلك أعد لنا بديلاً ونائباً عنا ليموت؛ ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح؛ إذ جاءنا في صورة إنسان (لو١: ٣٥) ووُجد بلا خطية (١بط٢: ٢٢) ليقدم نفسه بديلاً "حملاً بلا عيب" (١بط١: ١٩، خر١٢: ٥) واحتمل عنا دينونة خطايانا مات فوق الصليب (كو٢: ١٤) وأعطاه مكاناً سامياً في السماء.

وهذا هو العمل الكامل الذي أنجزه ربنا يسوع المسيح الذي "أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا" (رو٤: ٢٥) وهذا يوضح أهمية موته فوق الصليب، إذ نقرأ في (يو٣: ١٦) أن

الله؛ إذ بذل ابنه الوحيد، فكل من يؤمن بموته يمنح الخاطئ القداسة والبر ليصبح أهلاً للوجود في حضرته "أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو١٤: ٦).

الأختيار المناسب:

إن أردت –عزيزي القارئ – الذهاب إلى بيت الآب احتمِ والتجئ إلى المخلص الوحيد – ربنا يسوع المسيح – وبعمله الكامل تنال غفران الخطايا والتبرر وتصير ابناً لله (يو١: ١٢) وبه تنال أيضاً الحق بالدخول إلى بيت الآب وتعيش في سلام وسعادة في حضرة الله القدوس (مز١٦: ١١).

الأخبار السارة

قد أكمل!

لا شك أن المسيح هو "الكامل" بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كامل في كل شيء جميل وفي كل صفة رائعة. فلا عجب إن كانت أعماله كلها – وفي مقدمتها عمل الصليب – كاملة تماماً.

من بين عبارات سبع نطق بها المسيح من فوق الصليب، ,سجلتها البشائر الأربعة، جاءت الكلمة السادسة "قد أُكمل" قصيرة ولكنها فاعلة!

في الأصل اليوناني الذي كُتب به العهد الجديد تأتي هذه العبارة كلمة واحدة تُنطق "تيتيلستاي". وهي كلمة بحسب عادات ذلك الزمان ولغته كان يقولها الخادم بعد أن يكمل العمل الذي كلفه به سيده، والفنان بعد أن ينهي لوحته، والقائد المنتصر بعد المعركة، والتاجر بعد أن يسدد الفواتير التي ينبغي تسديدها. وهي كلها صور جميلة لما عمله المسيح فوق الصليب. فهو الخادم الذي أكمل مشيئة الله، والتاجر الذي سدد ديون مفديه، والفنان الذي أكمل عمل الخلاص العظيم، والمحارب الذي هزم الشيطان.

تُرى قارئي العزيز: هل يحتاج عمل المسيح الكامل إلى إضافة من أي كائن؟ إن فكراً كهذا يرفضه المنطق يأباه الواقع ويدحضه الكتاب المقدس. وقد تتساءل ماذا يعني هذا بالنسبة إليَّ؟ إنه ببساطة يعني وأن كل ما عليك هو أن تُقر باحتياجك إلى عمل المسيح الكامل فوق الصليب، معترفاً بأنك في ذاتك لا تملك عملاً كاملاً مطلقاً، وأن عمل المسيح الكامل لا يحتاج إلى تكميل منك أو من سواك، وأنه ليس بوسعك أن تكمل عملاً بقدرتك بدأه هو لو كان ذلك متاحاً.

نعم"أكمل المسيح عمل الكفارة"، ففي مزمور الكفارة العظيم (مز٢٢) يبدأ بالنطق الرابع للمسيح، صرخته متألماً "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وينتهي بالنطق السادس "أنه قد فعل".

هل بلغك الخبر؟ هل تصدقه؟ وهل تقبله بالإيمان؟ ليتك تفعل الآن وفوراً.

أسألك فتعلمني

دينونة الخطية ...وحتمية التجسد

* عندما أخطأ آدم وحواء وطردا من (الجنة) ألم يكن هذا كافياً كعقاب يجعل الله يسامحهما، وبالأحرى لأنه هو خالقهما؟

وما سبب مجيء المسيح إلى العالم؟ أليس بإمكان الله أن يقول "كن فيكون"؟ ولماذا لم يغفر الله لآدم ونسله من البداية عوضاً عن مجيء المسيح وموته وقيامته؟

✓ الخطأ يقاس ليس فقط بحجمه، بل وأيضاً بحجم المُساء إليه. إن كلمة قاسية توجه لشخص عامي يقيناً تختلف نتيجتها وعقوبتها لو وجهت نفس الكلمة إلى ملك البلاد نفسه نظراً لسمو الشخص الذي جرى الخطأ بحقه.

وخطية آدم وحواء وجهت أساساً إلى الله (غير المحدود) وبالتالي تستحق عقوبة (غير محدودة) أي أبدية. ولذلك فإن أجرة الخطية هي موت (أبدي) (رومية ٦: ٢٣). إن طرد آدم وحواء من الجنة هو بمثابة نتيجة لفعل وحصاد لزرع بأكثر من كونه "عقوبة" على الخطية. لقد اختارا الاستقلال عن الله، فلا معنى لجنة الشركة معه إذاً.

أما كون الله قادراً على كل شيء فهذا يقيناً صحيح ولكنه يستحيل أن يفعل شيئاً يناقض صفاته الذاتية فهو المحب الرحيم ..نعم، ولكنه أيضاً وبذات القياس هو النور والقدوس والبار والعادل.

فكيف يكون الله رحيماً مع الإنسان وعادلاً في نفس الوقت؟ كيف يكون باراً ويبرر الفاجر في ذات المشهد؟ هنا تبرز حتمية الكفارة على الصليب وبالتالي مجيء المخلص (المسيح).

إن قال الله: غفرت لكما..فأين قداسته وبره وعدله؟

وإن قال الله: عقوبة أبدية وجحيم..فأين محبته ورحمته؟

ففي الصليب، وفي الصليب وحده "الرحمة والحق التقيا، البر والسلام تلاثما" (مزمور ٨٥: ١٠).

نعم بإمكان الله كل شيء لكن كل شيء "صحيح". فهل مثلاً بامكانه "الظلم"؟ أو "التسيب"؟ أو "الفسق".....إلخ؟ حاشا والف حاشا بالطبع. من المحال أن تتناقض صفاته معاً فهذا طعن في ذات وجوده.

خواطر شعرية

بقلم: زكريا عوض الله

لا أخشى

إذ صرت في رفقتي لا أخشى من أحد
إن كنت في مهجتي لا أخشى من نكد

أنت مسيحي الذي قد ضحى من أجلي
أغلى دم، قاهراً للموت كالأسد

جلست في العرش تضمن نفسي للأبد

أنت الملك الذي دفعت لك السلطة
والأمر أمرك يا رب خطط الخطة

لا شيء يحدث إلا أنت تعلمه
يا حامل الكون أنت راسم خطة

وروحي في كفك ملآنة غبطة

أنت القدير الذي نجم السما خلق
فكل نجم بها من نورك أتلقا

وجعلت جنداً له تحميه من عطب
فيدور في الفلك العلوي منطلقا

بالأولى نفس فهل أغدو بك قلقا؟

حتى الشياطين لا تقوى على عمل
إلا بإذن لك فيها بذا العمل

يا سيد الكون لك الأمر في يدك
لماذا أخشى وأنت الرب تضع لي

الخير كله في تخطيطك الأزلي

أنت الحكم الذي تجعلها طرا
أنت تعمل الخير حتى إن بدا مرا

الخير كله أنت نغدو لك صورا
صورا لمن قد فدى بل من غدا البكرا

ما هو الخير فاصنع سيدي الخيرا

إذ صرت بالنعمة يا أبتي أبنا
أبناً لك يا أبي يا سيدي الاسنى

من أخشى إذ ارتجى إلاك يا أبي
شرفتني يا أبي تجعلني ابناً

أجثو لك يا أبي بالحب منحنياً

الفصل الرابع

السير على الماء (مت١٤)

بالرجوع إلى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل متى نتعلم درساً مباركاً جداً، بطرس يسير فوق الماء في هذا الفصل وسوف نناقش ما الذي أدى إلى ذلك. لقد قطع هيرودس رأس يوحنا المعمدان وأخذوا جسد يوحنا ودفنوه ثم ذهبوا وأخبروا يسوع. يا له من حدث رهيب ورد فعل مناسب.

هل قمت بدفن أي عزيز لديك؟ وهل ذهبت وأخبرت يسوع وعبرت عن أحزانك في أذنه التي تتعاطف معك؟ هؤلاء التلاميذ فعلوا ذلك. يمكن أن نرى في هذا اليوم طريقتين وفريقين، أولهما التلاميذ الحزانى الذين فقدوا معلمهم وهم تلاميذ يوحنا المعمدان، وثانيهما وهم تلاميذ الرب يسوع الذين رجعوا بنجاح عظيم من أول إرسالية في الخدمة (مر٦: ٣٠، ٣١) ولكن هذين الفريقين التقيا في محضر الرب وقال الرب لهما "تعالوا إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً" يا لها من دعوة مجيدة! دعوة اتجهت إلى فعله ناضجين وإلى تلاميذ منكسرين، فإن الجميع محتاجين إلى تلك الدعوة ولكن موضع الخلاء مع الرب يسوع لا يمكن أن يكون مكاناً خالياً ثم يأتي بعد ذلك إشباع الجموع، والطريقة التي بها يصرف الرب الجموع، تختلف تماماً عن الطريقة التي أراد بها التلاميذ أن تصرف الجموع، فقد أراد التلاميذ أن يصرفوا الجموع لكي يبتاعوا لأنفسهم طعاماً، لقد أرادوا أرسالهم جوعى وكان هذا مضاداً لتصرف المسيح، لقد صرفهم الرب وهم بالآلاف غير جياع وهم يشهدون عن رقة قلبه ويشهدون عن مجد شخصه الإلهي، بينما الرب يلزم تلاميذه أن يذهبوا إلى الجانب الآخر.

يمكن أن نرى حكمة الرب الجميلة هنا في إرسال تلاميذه بعيداً عن عنصر الشر في هذا التوقيت لأن في (يو٦: ١٤، ١٥) يخبرنا بأن الجموع أرادوا أن يأخذوه بالقوة ليجعلوه ملكاً والتلاميذ أيضاً كانوا يحبون هذه المملكة بل صاروا يشاركون الجموع التفكير في تعظيم سيدهم على عرش أرضي (أنظر مت٢٠: ٢٠-٢٣، أع١: ٦). ولكن الرب لا يأخذ الملك ولا يقدر أن يملك في الوقت الذي تسود فيه الخطية هذا ولم تستبعد من أمام نظر الله. لقد كانت أفكار التلاميذ ثابتة ومرتبطة بالمُلك الأرضي ولكن الرب لم يكن كذلك وكان يعرف أنه يجب أن يموت ويتمم عمل الكفارة قبل يوم المُلك، لذلك أرسل تلاميذه بعيداً عن هذه التجربة.

إن الرب دائماً حكيم وينبغي أن نثق فيه، ونثق في محبته وفي حكمته في كل طرقه معنا.

لقد ذهب هو بنفسه إلى الجبل ليصلي وهو فوق الجبل للشفاعة كما هو الآن لأن الكتاب يقول في (عب٧: ٢٥) " هوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ(لهم)." ولقد لقي التلاميذ صعاب البحر في هذا الوقت وهم في الطريق إلى كفرناحوم فلاطمتهم الأمواج وتعبوا في التجديف كما يخبرنا (مر٦: ٣٠) ولقد سار إليهم الرب في الهزيع الرابع من الليل. لقد كانت المسافة التي قطعوها حوالي ثلاثة أميال فقط وهذا معناه أننا نتقدم ببطء إن لم يكن الرب معنا. إن بحيرة طبرية معروفة بعواصفها العاتية والمفاجئة مما يزيد الأمر صعوبة ويجعل من الصعب على التلاميذ أن يفهموا (تصوير) حالتهم بالظروف التي حولهم. ربما تتمثل الرياح المفاجئة والعواصف الشائعة في هذه البحيرة إنني أتذكر مرة حيث كنت أعبر بحيرة (كوم) في الصيف بعد الظهر حيث كان السطح صافياً كزجاج ثم هبت ريح عاصفة شديدة جداً حركت سطح الماء لدرجة أن القارب الصغير لا يمكن أن يبقي هناك صحيحاً واضطررنا أن ننتظر حيث يهدأ الحال في المساء وامتلكنا طريقنا إلى الجهة المقصودة بقارب بخاري آخر.

إن المسافرين في فلسطين ربما يرون مثل هذه الحالة المشابهة. ويعطي الدكتور طمسون في كتابه المعروف كلاماً تصويرياً عن تجربته الشخصية في بحيرة طبرية حيث يكتب الآتي ''نادراً ما استقرت الشمس وابتدأت الرياح تندفع نحو البحيرة واستمرت طوال الليل لعنف متزايد وعندما وصلنا الشاطئ في الصباح التالي كان وجه البحيرة يشبه الماء الذي يغلي، ولكي نفهم سبب هذه الرياح العنيفة المفاجئة ينبغي أن نتذكر أن هذه البحيرة تقع أقل من سطح المحيط بـ ٦٠٠ قدم علاوة على عامل السهول الواسعة لمرتفعات الجولان، وهي مرتفعات عالية جداً وهي تنتشر حتى حوران وتعلو حتى جبل حرمون وتصل إلى رأس هذه البحيرة، وهذا ما يُسقط على البحيرة الرياح الباردة من الجبال. وذات مرة نصبنا خيامنا على الشاطئ ومكثنا ثلاثة أيام وثلاثة ليالي نتعرض لهذه الرياح العاتية وكان علينا أن نثبت هذه الخيام بحبال مضاعفة أكثر من مرة بأوزان ثقيلة عليها لكي لا تهتز هذه الخيام أو لكي لا تتطاير في الهواء..إذاً فلابد أن يكون التلاميذ قد تعبوا جداً في التجديف طوال الليل''.

ولكن في كل هذه الصعوبات والمخاطر كانت عين الرب على خاصته، وقد كان لأجلهم كالشفيع وجاء إليهم في الهزيع الرابع ولم ينسَ خاصته في آلامهم وصعوباتهم "لأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ

تَأَلَّمَ مُجَرَّبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ" (عب٢: ١٨) ، "والقادر أن يرثي لضعفاتنا" (عب٤: ١٥) وأيضاً " القادر أن يخلص إلى التمام" (عب٧: ٢٥).

إن الرب يفعل هذه الأمور الثلاثة في هذا المشهد فهو قادر أن "يُعين" وذلك واضحاً في قوته الإلهية حيث نراه يسير فوق الماء لينجي تلاميذه، وأيضاً هو قادر أن "يرثي" وذلك واضحاً عندما قال "أنا هو لا تخافوا" وثالثاً نرى قوته للإنقاذ وهذا نراه فيما عمله مع بطرس عندما صرخ وابتدأ يغرق قائلاً "يا رب نجني" (مت١٤: ٣٠) هذا هو يسوع ربنا الذي يجلس الآن في المجد وكل الأحداث التي تمر بها الأرض نتعلم منها اللمسات المباركة ومن هو في ذاته.

في الجزء الأول في هذا الفصل (مت١٤) نرى حنان قلبه حيث يطعم الجموع ونرى استعراض قوته وسلطان يده والآن تعب التلاميذ من هذه العواصف ولكن ما احتوى هذا الصوت الموسيقي الذي جاء إليهم فوق هبوب هذه الرياح والأمواج قائلاً لهم "أنا هو لا تخافوا" وعندما سمعوا هذا الصوت قال بطرس وهو غير خائف ذو حمية والممتلئ محبة "إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء" (مت١٤: ١٨).

أنظر إلى طاقة ومحبة هذا القلب، إنها متجددة دائماً، ترى السيد فوق العواصف وتجيب على كلمته "تعال" وهنا نرى التلميذ يقلد سيده وامتلأ بطرس قوة إلهية وسار فوق الماء لكي يأتي إلى يسوع، إن الإيمان والمحبة فقط هما اللذان يفعلان ذلك، إنه الأمر الذي أعجب به الرب.

إن هذا المنظر بصفة خاصة جزء جميل من حياة بطرس ولكن تصرفه هنا يدعو إلى التساؤل لأنه ترك السفينة، فهي كانت الدوافع في قلبه، إنه في الواقع أراد أن يكون قريباً من الرب وهذا صحيح، إن الحذر واعتبار الذات يلزمان بطرس أن يبقى في السفينة مع أخوته ولكن عواطفه وإيمانه قاداه أن يترك ما يمكن أن يتكل عليه، فالناس الذين لهم غيرة قليلة و طاقة بسيطة يتركون أنفسهم إلى فشل متوقع ويقولون: إننا ننتظر هنا إلى أن يأتي هو إلينا ولكن بطرس تأكد أنه سيده المحبوب فقال له "إن كنت أنت هو" وإنني أفهم هذه العبارة بأنها لا تفيد الشك ولكن بطرس يريد أن يرى الرب متفوقاً يسير على الماء وهو يريد أن يكون قريباً من الرب وقد قال في قلبه: أنا أذهب لألتقي به إذا هو دعاني وإن كلمات بطرس هي التي تظهر لنا هذه المعاني الشخصية الطبيعية ودوافعه غير الواضحة حيث يقول "إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء" فكانت الإجابة بكلمة "تعال" و أطاع على الفور ولو لم يفعل ذلك لكان بطرس عاصياً وعندما نزل من السفينة صار

على الماء ليذهب إلى يسوع، لقد كان ذلك صحيحاً تماماً، ولقد فعل ذلك بعمل إلهي وبالكلمة "تعال" وبسلطان إلهي حيث هو الآن في محضر الرب.

وإنك أيها القارئ سوف تتساءل قائلاً إنه ابتدأ يغرق وهذا صحيح ولكن لماذا؟ هل لأنه ترك السفينة بغباء؟ ولكن لا، لأن الكتاب يقول "إن بطرس سار فوق الماء لكي يذهب إلى يسوع، لأنه إلى هذه اللحظة كان يشبه سيده، إذاً فلماذا ابتدأ يغرق؟ ذلك لأنه حول نظره عن الرب يسوع، فطالما كانت أنظاره مثبته على الرب كانت الأمور تسير في الطريق الصحيح، ولقد جاءت اللحظة التي رأى فيها الرياح فابتدأ يغرق، لقد ارتفعت الرياح و الأمواج الشديدة قبل أن يترك هو السفينة وإلى هذه اللحظة لم يكن قد ترك السفينة فإن المسألة الآن هي مسألة الرب ويالليته احتفظ بأن يثبت عينه على الرب فكانت الأمور تسير سيراً حسناً، ولكن إذا وضعنا الظروف بين قلوبنا والرب فكل الأمور تسير خطأ. "وابتدأ يغرق" تخيل معي هذا الموقف!

إن الإيمان يمكن أن يسير فوق المياه الهائجة وذلك عندما يكون النظر مثبتاً على الرب "أنظر إلى يسوع" ينبغي أن تكون هذه العبارة هي شعار النفس وهي عادة القلب وهذا هو الطريق المبارك للتفوق على ظروفنا ولكي تسلك الطريق الصحيح.

مما لا شك فيه أن فشل بطرس هنا يعلمنا دروساً كثيرة ولكن اعتقد أيضاً أن الرب يقدر كثيراً المحبة التي دفعت بطرس أن يفعل ذلك، إن النقطة التي نتعلمها ليس فقط أن بطرس ابتدأ يغرق في النهاية، لكنه سار على الماء كما فعل سيده "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" قال هذه العبارة خادم آخر هو بولس ولكن نعود الآن إلى موضوعنا، عندما نظر بطرس إلى الرياح المخيفة فابتدأ يغرق فصرخ قائلاً "يا رب نجني" والسؤال لماذا ابتدأ يغرق؟ هل لأن المياه كانت أقل ثباتاً عندما كانت العاصفة وضاع الهدوء؟ بالتأكيد لا، إننا لا نستطيع أن نسير ولو قليلاً على طريق يابس أفضل من على الأمواج وسط الرياح بدون القوة الإلهية، فإن قوة المسيح هي التي تسندك وتسندني في ظل أصعب الظروف ولا شيء غير نعمة وقوة المسيح تستطيع أن تسندنا حتى في أكثر الظروف سهولة.

حينئذٍ صاح بطرس وامسكه الرب قائلاً له "يا قليل الإيمان لماذا شككت" إن بطرس كان لديه إيمان بالرغم من كونه إيماناً قليلاً، فهل لدينا أنت وأنا أيها القارئ الإيمان الأكثر؟

إن نعمة المسيح لا نظير لها، لقد فشل بطرس تماماً أن يأتي إلى سيده ولكن لم يفشل الرب أن يصل إلى بطرس في ذلك الوقت، إن فشل بطرس جاء به إلى أقدام مخلصه ولكن في لحظة غرقه وجد نفسه بين ذراعي المخلص المبارك.

لقد قال بطرس " يا رب نجنى" وصارت الإجابة في الحال ويمكن لجمعنا أن نتبع نفس هذه الطريق بقلب ممتلئ بالرقة والحنان والمحبة وبقلب الرب يسوع المجيد عندما نلقى بأنفسنا عليه في وقت المحنة والمصائب وعشرات الآلاف من المواقف تقول حقاً إن الرب يسوع "هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" وبمجرد أن دخل الرب السفينة سكنت الريح ويصف يوحنا قائلاً "َرَضُوا أَنْ يَقْبَلُوهُ فِي السَّفِينَةِ. وَلِلْوَقْتِ صَارَتِ السَّفِينَةُ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي كَانُوا ذَاهِبِينَ إِلَيْهَا" (يو٦: ٢١).

يا للجمال كيف يهدأ كل شيء بمجرد أن يدخل إلى محضر الرب! والآن يقول الكتاب أن التلاميذ سجدوا له "قائلين بالحقيقة أنت ابن الله".

لقد تعلم بطرس أن الرب هو المسيا في (يو١) ثم بعد ذلك تعلم أنه ابن الإنسان وله سلطان على سمك البحر في (لو٥) والآن فإنه يراه في أمجاده الأدبية وتعلم درساً ثميناً أن هذا الشخص الذي هو المسيا وهو ابن الإنسان هو أيضاً ابن الله.

دعني أسألك أيها الصديق هل انحنيت أمام شخص الرب يسوع متعبداً؟ وهل صرخت له مرة قائلاً يا رب نجني؟ وإن كان قد استجاب لك هل ركعت على ركبتك وسجدت له قائلاً يا رب بالحقيقة أنت ابن الله؟

يا ليت الروح القدس يقود قلبك وقلبي أنا أيضاً باعتباره ابن الله بطريقة أعظم وأكمل، وإن كنت أيها القارئ العزيز لم تسجد للرب فياليته يقودك أن تسجد أمامه اليوم وتسبحه وتسجد له لأجل ما هو عليه في ذاته ولأجل كل ما صنعه وهكذا تمجده لأنه يقول "ذابح الحمد يمجدني" (مز٥٠: ٢٣).

أبطال المحبة

الكرام والمكارم....الأفاضل والفضائل

الأسماء الواردة في كولوسي ٤: ٧-١٨

ودلالاتها الروحية

(٦) أَبَفْرَاسُ ... رجل الصلاة

--

«يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَبَفْرَاسُ، الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ، عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ، مُجَاهِدٌ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ بِالصَّلَوَاتِ، لِكَيْ تَثْبُتُوا كَامِلِينَ وَمُمْتَلِئِينَ فِي كُلِّ مَشِيئَةِ اللهِ. فَإِنِّي أَشْهَدُ فِيهِ أَنَّ لَهُ غَيْرَةً كَثِيرَةً لأَجْلِكُمْ، وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ، وَالَّذِينَ فِي هِيَرَابُولِيسَ»

(كو٤: ١٢، ١٣)

تأملنا فيما سبق في بعض الجوانب المضيئة في حياة أَبَفْرَاس، وتحدثنا عن:

أولاً: أَبَفْرَاسُ ... رجل الصلاة (كو٤: ١٢)

ثانيًا: أَبَفْرَاسُ ... الغيور (كو٤: ١٣)

ثالثًا: أَبَفْرَاسُ ... المُبشِّر ومؤسس الكنائس (كو١: ٦، ٧)

رابعًا: أَبَفْرَاسُ ... المُعلم في كلمة الله (كو١: ٧)

خامسًا: أَبَفْرَاسُ ... العبد الحبيب (كو١: ٧)

ونواصل في هذا العدد المزيد من التأملات في بعض الزوايا المختلفة من حياته الداخلية، فنقول:

سادسًا: أَبَفْرَاسُ ... الخادم الأمين للمسيح(كو١: ٧)

كان أَبَفْرَاسُ خادمًا أمينًا للمسيح (كو١: ٧). والأمين هو الشخص الذي يخاف الله، أي يحيا في محضره، ويسلك قدامه في كل حين، ولا يكره سوى الخطية (نح٧: ٢؛ دا٤: ٦؛ تك٣٩: ٩). والأمانة مطلوبة من خدام الرب على وجه خاص (١كو٤: ٢؛ ٢تي٢: ٢). إن العالم الذي نعيش فيه مملوء بالكذب والخداع والغش، والأمانة في هذه الأيام الأخيرة صفة نادرة، إذ مكتوب «أَكْثَرُ النَّاسِ يُنَادُونَ كُلُّ وَاحِدٍ بِصَلاَحِهِ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَمِينُ فَمَنْ يَجِدُهُ؟» (أم٢٠:: ٦)، ولكن الروح القدس شهد عن

أبفراس أنه «خَادِمٌ أَمِينٌ لِلْمَسِيحِ لأَجْلِكُمُ» (كو١: ٧). لقد كان أمينًا في العيشة التقوية، أمينًا في خدمة المؤمنين في كولوسي، وأمينًا في تعليمهم كلمة الله، وبحق كان متمثلاً بالرب يسوع «الشَّاهِدِ الأَمِينِ» (رؤ١: ٥). والأمانة من أهم الصفات الشخصية وأعظمها، وهي الصفة التي تنهض في يوم الدين كالقياس الصحيح للسلامة الروحية «كُنْتَ أَمِينًا» (مت٢٥: ٢١، ٢٣؛ لو١٩: ١٧)، لأنها تتعلَّق بكل إنسان مهما كانت ظروفه المختلفة في الحياة، ومهما كثرت أو قلَّتْ مواهبه وإمكانياته، فهي لازمة للفقير كما للغني، للمُتعلِّم ما للعامي، للقوي كما للضعيف، للسَيِّد كما للعبد، وهي الشيء الذي لا يستطيع أحد الاعتذار عنه أو التعلل بأنه خارج قدرته وحياته ونطاقه. وهي وإن كانت واجبة للجميع، فهي لخادم الرب ألزم وأوجب، وذلك لأن نجاح الخدمة وفشلها يرتبطان بمدى الأمانة عنده. وإذا قرأنا بتدقيق أجزاء من كلمة الله مثل متى٢٤: ٤٥-٥١؛ ٢٥: ١٤-٣٠؛ مرقس١٣: ٣٤-٣٦؛ لوقا١٢: ٤١-٤٣؛ ١٩: ١٣-٢٤؛ ١كورنثوس٤: ١-٣؛ ٩: ١٦-١٨، فسنجد أن هذه الأعداد – مع غيرها في الكتاب المقدس – تُكلِّمنا عن الأمانة في الوكالة، فالمؤمن ليس فقط ابنًا في عائلة الله، وعضوًا في جسد المسيح، وحجرًا في هيكل سكنى الروح القدس، بل هو أيضًا "وَكِيلٌ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ" (١بط٤: ١٠)، وعطايا سَيِّده أمانة في عنقه، كما يُعلّمنا مثل العبيد والوزنات (مت٢٥: ١٤-٣٠)، وعليه أن يُتاجر بوزناته ويربح لمصلحة سَيِّده الغائب؛ لقد استؤمن على وكالة، والضرورة موضوعة عليه، ليسلك بأمانة، وليُبشر بإنجيل نعمة الله بطريقة ما. والوكيل ليس هو صاحب الشيء، إنما هو أمينٌ على مال سَيِّده، فإن فشل في ما استؤمن عليه، رُفض مِن الوكالة، ولو أنه يحتفظ بمركز البنوة في وسط العائلة، لأنه قد وصل إلى هذا المركز ويثبت فيه بواسطة النعمة، أما مركز الوكالة فيضع عليه مسؤولية الأمانة التي سيؤدي عنها الحساب «ثُمَّ يُسْأَلُ فِي الْوُكَلاَءِ لِكَيْ يُوجَدَ الإِنْسَانُ أَمِينًا» (١كو٤: ٢)، فالأمانة هي مسؤولية الوكيل، أما نتيجة الخدمة فهي في يد الرب.

وفي هذا الصدد، نتذكر أن الرب يسوع المسيح، في أمثاله، وبفمه الطاهر، علَّمنا ضرورة الأمانة:

ففي مَثل العبيد (مت٢٤: ٤٥-٥٠)، حدَّثنا عن ضرورة الأمانة في الخدمة داخل البيت؛ أي في الكنيسة، كما هو مكتوب «وَبَيْتُهُ نَحْنُ» (عب٣: ٦).

وفي مَثل العشر العذارى (مت٢٥: ١-١٣)، حدَّثنا عن ضرورة الأمانة في الأشواق في انتظار العريس. فإن كنا ننتظر الرب كالسَيِّد، فيجب أن ننتظره بأمانة واجتهاد العبيد الأمناء الحكماء، وإن كنا ننتظره كالعريس، فيجب أن ننتظره بأشواق العروس.

وفي مثل الوزنات (مت٢٥: ١٤-٣٠)، حدَّثنا عن ضرورة الأمانة في الخدمة خارج البيت، واستخدام ما يُعطيه المسيح لنا من المواهب الطبيعية أو الروحية، لنبشر بإنجيل الله بطريقة ما.

وفي مَثل الأمْناء (لو١٩: ١٢-٢٧)، حَّثنا عن ضرورة الأمانة للرب في العيشة والسلوك كما يحق لإنجيل المسيح.

وهكذا كان أَبَفْرَاسُ خادمًا أمينًا للمسيح (كو١: ٧)؛ لشئون وصوالح الرب يسوع المسيح على الأرض، والرب هو الذي يعرف مدى أمانته في الخدمة وفي العيشة.

ونلاحظ أن الرسول يصف أَبَفْرَاس باعتباره «خَادِمٌ أَمِينٌ لِلْمَسِيحِ»، ولكنه يُضيف «لأَجْلِكُمُ» (١كو١: ٧). ومن الجميل أن تستخدم نعمة الله المؤمن في التعب لأجل القديسين. إننا بالنعمة، بواسطة الإيمان بالرب يسوع المسيح، صرنا أولادًا لله، وكأولاد لله نحن مدعوون، بل ومُؤهَّلُون، لأن نحبه ونخدمه. والمحك العملي لمحبتنا للرب يسوع المسيح هو أن نحب قطيعه ونخدمه ونتعب لأجله. فالرب ليس بعد معنا لنُظهر محبتنا له بطريقة عملية، لكن معنا أحباءه أعضاء جسده، لهذا يقول «أَتُحِبُّنِي؟ ... ٱرْعَ خِرَافِي ... ٱرْعَ غَنَمِي»؛ أي أظهر محبتك نحوي في محبة تاعبة لأحبائي (يو٢١). «أتحبني؟» إذًا عش للآخرين، واهتم بالآخرين، واخدم الآخرين. ولقد قال الرب يسوع في مناسبة دينونة الأحياء «بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ» (مت ٢٥:٤٠). وإنه لشرف عظيم أن نُشارك الرب يسوع المسيح في عواطف قلبه من نحو أعضاء جسده.

فيا ليتنا نحن المؤمنين نتمثل بأَبَفْرَاس في هذه الصفة المباركة؛ الأمانة في خدمة الرب يسوع المسيح، وخدمة القديسين. عالمين أن «اَلرَّجُلُ الأَمِينُ كَثِيرُ الْبَرَكَاتِ» (أم٢٨: ٢٠)، وأن «السَّفِيرُ الأَمِينُ شِفَاءٌ» (أم١٣: ١٧)، و«اَلشَّاهِدُ الأَمِينُ مُنَجِّي النُّفُوسِ» (أم١٤: ٢٥)، ويالليتنا نُطيع التحريض «كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» (رؤ٢: ١٠). ويا ليت الرب يُضاعف من أمثال أَبَفْرَاس فيرى في الكنيسة من يَنفِقون ويُنفَقون لأجل شخصه العزيز ولأجل شعبه المحبوب.

(يتبع)

من قاموس الكتاب

رسالة يعقوب

الإيمان العملي

ملحوظة هامة:

من المهم جداً قراءة الرسالة كلها كخطاب واحد قبل البدء في دراستها.

نظرة عامة:

١- رسالة يعقوب هي إحدى أربع رسائل في العهد الجديد موجهة أساساً إلى ذوي أصول يهودية (مع: الرسالة إلى العبرانيين، ورسالتي: بطرس الأولى، والثانية). وهي أولهم تاريخياً.

٢- يعقوب كتب مركّزاً على مدعيي الإيمان، وبولس كتب للفريقين: المؤمنين الحقيقيين، وغير المؤمنين بالمسيح، أما بطرس فكتب مركّزاً على تشجيع وتعزية المؤمنين.

٣- يعقوب كاتب الرسالة، هو يعقوب «أخو الرب» بحسب القرابة الجسدية، وهو بخلاف «يعقوب بن زبدي» الذي من الأثنى عشر رسولاً (مت٤: ٢١)، وبخلاف يعقوب الصغير (مر١٥: ٤٠).

٤- كُتبت هذه الرسالة في وقت مبكر من تاريخ المسيحية (ما بين٥٨، ٦٠ميلادية)، حيث كان المسيحيون الأوائل يعقدون اجتماعاتهم في المجامع اليهودية. وهي مرحلة انتقالية ما بين: اليهودية والمسيحية. يدل على ذلك تعبيرات مُميّزة في هذه الرسالة مثل «الديانة الطاهرة النقية» (١: ٢٧)، «مجمعكم» (٢: ٢)..إلخ.

٥- هذه الرسالة هي إحدى سبع رسائل في العهد الجديد تُسمّى: «الرسائل الجامعة»، وهي التي كتبها أشخاص غير الرسول بولس (مع: ٣ رسائل ليوحنا، ورسالتي بطرس، ورسالة يهوذا).

التقسيم التفصيلي للرسالة

الأصحاح الأول: (التجارب بأنواعها)

- عدد (١) التحية، والذين أُرسلت إليهم الرسالة.

- عدد (٢-٤) التجارب المؤلمة والمتنوعة التي يسمح لنا الرب بها.
- عدد (٥-١٢) رد الفعل الإيجابي والصحيح تجاه هذه التجارب.
- عدد (١٣-١٨) التجارب التي هي «الخطية» والتي ليست من الله الصالح.
- عدد (١٩-٢٧) دور كلمة الله في مواجهة التجارب (بنوعيها)، وأهمية السلوك العملي بموجبها.

الأصحاح الثاني: (الإيمان وأعماله)

- عدد (١) تحذير من خطية «المحاباة».
- عدد (٢-١٣) مثال عملي للمحاباة المرفوضة، وخطورة إهانة الفقير.
- عدد (١٤-٢٦) التبرير بالأعمال (أمام الناس) مع أمثلة كتابية (إبراهيم، وراحاب).

الأصحاح الثالث: (اللسان وأهميته)

- عدد (١-١٢) ثلاث ثنائيات تصويرية عن اللسان باعتباره: قائداً ... مُدمِّراً... سبب بركة.
- عدد (١٣-١٦) الحكمة الأرضية.
- عدد (١٧، ١٨) الحكمة السماوية.

الأصحاح الرابع: (الإنفصال وضرورته)

- عدد (١-٣) أهمية تجنب أعمال الجسد وشهواته ولذّاته.
- عدد (٤-١٠) ضرورة رفض «محبة العالم» والتي هي بمثابة «زنى» روحي.
- عدد (١١، ١٢) التحذير من «ذم» الآخرين (وربما باستخدام ناموس الله يدين أخاه).
- عدد (١٣-١٦) التحذير من الافتخار الذي ينسينا أن حياتنا بخار.
- عدد (١٧) قانون ذهبي يعرّفنا المزيد عن «الخطية في نظر الله».

الأصحاح الخامس: (الصبر والصلاة)

- عدد (١-٦) الأغنياء زمنياً وافتراءاتهم على المسكين.
- عدد (٧-١١) تشجيع للأتقياء على انتظار مجئ الرب يسوع.

- عدد (١٢) مبدأ مسيحي: صدق الكلمة المنطوقة لا يحتاج حلفاً أو قسماً.
- عدد (١٣-١٨) الصلاة ودورها في مواجهة المشقّات.
- عدد (١٩، ٢٠) المساعدة الرعوية لمؤمن قد ضل، وأهميتها.

٦- وردت كلمة الصبر ومرادفاتها في هذه الرسالة ٧ مرات (١: ٣؛ ١: ٤؛ ٥: ٧ مرتان؛ ٥: ٨؛ ٥: ١١ مرتان).

٧- هي رسالة عملية في الأساس، موضوعها الرئيسي هو «الإيمان العملي» المعُاش والذي يبرهن على وجوده المواقف الحياتية اليومية، لا مجرد اعتراف الشفاه.

تقسيم الرسالة بحسب موضوعها الرئيسي (الإيمان العملي)

ص١	ص٢	ص٣	ص٤	ص٥
الإيمان يُظهر من خلال التجارب	الإيمان يُظهر من خلال الأعمال	الإيمان يُظهر من خلال اللسان	الإيمان يُظهر من خلال الانفصال	الإيمان يُظهر من خلال الصبر والصلاة
١. التجارب التي من الله لامتحان الإيمان وتزكيته (١: ٢-١٢).	١. مثال إبراهيم (٢: ٢١-٢٤).	١. لجام ودفة (القيادة) (٣: ٣، ٤).	١. الانفصال عن أعمال الجسد (٤: ١-٣).	١. الصبر والانتظار (٥: ٧-١١).
٢. التجارب التي هي شر وخطية (١: ١٣-١٧).	٢. مثال راحاب (٢: ٢٥، ٢٦).	٢. نار وحيوان سام (الخطورة) (٣: ٥-٩).	٢. الانفصال عن محبة العالم (٤: ٤-١٠).	٢. الصلاة الحارة (٥: ١٣-٢٠).
		٣. ينبوع وتينة (البركة) (٣: ١٠-١٢).	٣. الانفصال عن روح العالم (٤: ١١-١٦).	

الأصحاح الأول

- ✓ الإيمانُ يظهر من خلال التجارب

١- التجارب والآلام المتنوعة (لسبب البر والضمير الصالح؛ ومن أجل المسيح).

٢- لماذا الألم؟ (لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شي).

٣- حساب الإيمان (احسبوه كل فرح ياخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة).

٤- أهمية الحكمة واحتمال التجارب.

٥- خطورة الرأيين (رأيي، ورأي الرب).

٦- التجربة التي هي خطية ودوري فيها (الشهوة ... الإرادة ... الخطية ... الموت).

٧- دور كلمة الله في مواجهة نوعي التجارب.

٨- الحياة العملية الصحيحة تُظهر صفات الله: افتقاد اليتامى والأرامل.. (الله محبة).

- ✓ حفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم «الله نور».

فكرة الإيمان الذى لا يُمتحن لا يوثق به. Faith, which is not TESTED not TRUSTED

الأصحاح الثاني

- ✓ الإيمان بُظهر من خلال الأعمال

١- خطورة المحاباة.

٢- نظرة الله للفقير.

٣- اقتران الإيمان الحقيقي بأعمال تبرهن وجوده وتُظهره.

٤- التبرير بالأعمال (قدام الناس) مُكمِّل للتبرير بالإيمان (قدام الله- رومية٤).

٥- إيمان العقل (إيمان الشياطين) والإيمان الصحيح.

٦- الإدعاء بالباطل.

٧- أعمال الإيمان (إبراهيم، وراحاب) (أف٢: ٨-١٠).

فكرة: الإيمان وحده يبرر.. رومية٤، والإيمان الحقيقي لا يمكن أن يكون وحده.. يعقوب٢.

الأصحاح الثالث

- ✓ الإيمان يُظهر من خلال اللسان

١- الكلام الكثير والتعليم الكثير.

٢- خطورة اللسان «البطئ الغضب خير من الجبار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة» (أم١٦: ٣٢).

٣- اللسان كقائد للجسم كله (لجام الخيل، ودفة السفينة).

٤- اللسان كمصدر خطر جهنمي (نار تحرق، وسُم مُميت).

٥- اللسان كمصدر للبركة، لله وللناس (ينبوع عذب، وتينة مثمرة).

٦- الحكمة الطبيعية: مصدرها وثمرها.

٧-الحكمة الإلهية: مصدرها وثمرها.

فكرة: من تدرب علي ضبط لسانه نجح في ضبط كل جسده: أفكاره، عواطفه، شهواته..ألخ.

الأصحاح الرابع

- ✓ الإيمان يُظهر من خلال الانفصال

١- مصدر الحروب والخصومات.

٢- خطورة محبة العالم.

٣- أهمية الحزن على حالتي قبل الفرح بالرب.

٤- أهمية الاتضاع أمام الله قبل أن يرفعني الرب.

٥- خطورة دينونة الآخرين.

٦- نظرتنا الصحيحة الي المستقبل (الغد).

٧- عندما لا نفعل الحسن.. فهذه خطية!

فكرة: من استأمن المسيح علي مصيره الأبدي ... يسهل عليه أن يستأمنه من جهة الغد الزمني.

الأصحاح الخامس

- ✓ الإيمان يُظهر من خلال الصبر والصلاة

١- الغنى بدون الله: خطورته ونتائجه.

٢- صبر المؤمنين لمجيء الرب.

٣- صبر الفلاح.

٤- صبر أيوب، وعاقبة الرب.

٥- الجواب الواحد لا يحتاج إلى الحلف أو القسم.

٦- ماذا نفعل في الفرح؟

٧- ماذا نفعل في المشقات؟

٨- قوة صلاة البار.. ومثال إيليا.

٩- ارتباط المرض- في بعض الحالات- بالخطية، وعلاج ذلك.

فكرة: ذكر الكتاب المقدس ٧ معطلات علي الأقل تمنع استجابة الله لصلوتنا، وهي:

١- الطلب الرديء. (يع٤: ٣)

٢- عدم الإيمان. (يع١: ٦)

٣- وجود إثم في القلب. (مز٦٦: ١٨)

٤- عدم الإصغاء لصوت الرب. (زك٧: ١٣)

٥- إغلاق الأحشاء عن الفقير. (أم٢١: ١٣)

٦- الخلافات العائلية. (١بط٣: ٧)

٧-عدم الإتفاق مع مشيئة الله. (١يو٥: ١٤)

لآلئ من الكلمة بقلم: ف.ب ماير

حياة داود

"يد باردة على رأس حارة" (١صم٢٥)

سرت الأنباء في أرجاء البلاد– كما تسري النار في الهشيم – بأن صموئيل قد مات "فاجتمع جميع إسرائيل"، لشعورهم بهذه الخسارة العامة الفادحة، لرثاء هذا النبي والقديس، وتأدية آخر واجبات الإكرام. وتقديراً لشخصه وخدماته، مُنح هذا الامتياز الاستثنائي، وهو أن يدفن بجوار بيته في الرامة على مرتفعات بنيامين، والأرجح جداً، أنه قد أطلق نداء عام بالعفو الشامل، فأتى داود ليشترك في توديع سيده وصديقه الوداع الأخير، على أنه لم يتجاسر بأن يبقى قريباً من شاول لحظة واحدة أكثر مما تستلزمه الواجبات الضورية جداً، بل يميل وجهه نحو برية فاران – التي تكاد تكون مقفرة من السكان – حالما انتهت مراسيم تشييع الجنازة. وتقع برية فاران هذه في أقصى حدود اليهودية جنوباً، كان قدومه إلى هذه البلاد المتاخمة للحدود باعثاً للطمأنينة والسلام في قلوب سكانها، بسبب ما كانت تستهدف له على الدوام من إغارة العمالقة والفلسطينيين. لقد كان الرعاة محقين في اعتقادهم، بأنهم يدينون لداود بحمايته إياهم، وحسناً ما قاله أحدهم "الرجال محسنون إلينا جداً فلم نُؤذَ، ولا فُقد منا شيء، كل أيام ترددنا معهم ونحن في الحقل، كانوا سوراً لنا ليلاً ونهاراً، كل الأيام التي كنا فيها معهم نرعى الغنم" (١صم ع١٥، ١٦).

عندما كانت تقبل مثل هذه الخدمات، وتقدر قيمتها، فكان من العدل أن تقدم المكأفاة عنها من نوعها، حسب تقاليد تلك الأيام، كان هذا أمراً بديهياً وناموسياً غير مكتوب، ولذلك فقد كان لداود كل الحق في إرسال عشرة شبان من رجاله لتحية صاحب الغنم الثري – نابال– في يوم رخائه وثرائه ليذكره، بالتزاماته نحوه باعتبار أنه يرجع إليه جزء عظيم من الفضل في هذه الثروة لحراسته إياه هو ورجاله، ولكي يطلب منه ما يجود به عن طيب خاطر. ولكن إجابة نابال الفظة، نفذت إلى قلب داود كالسهم الحاد، وأدت إلى حادثة يرويها لنا الكتاب المقدس بأسلوب جذاب، جعلها من أحب وأعذب أناشيده.

تذكر هذه الرواية ثلاث شخصيات: نابال، داود، أبيجايل.

١. نابال الفظ

يصور لنا الكتاب المقدس، أخلاقه في ثلاث أو أربع صفات شنيعة، لا داعي للإفاضة في التحدث عنها. في كل وسط نلتقي بأشخاص من هذا الطراز، يتشامخون على كل من كان دونهم، لا يُحتمَلون في رخائهم، يفقدون رشدهم بسبب انغماسهم في الملذات، أدنياء، أذلاء وقت الملمات، يتيهون عجباً عندما يرون أنفسهم آمنين، ولكنهم في ساعة الخطر، تذوب قلوبهم خوفاً، وجبناً، وتذللا. يا له من وصف دقيق – ينطبق على كل من كان على شاكلته، ذلك الذي صور به غلامه – في ملاحظاته السرية لزوجته، من أنه "ابن لئيم لا يمكن الكلام معه"

- "كان الرجل عظيماً جداً" كما يروي لنا الكتاب، ولكن هذه كانت أحط أنواع العظمة، غير مبنية على أخلاقه، أو ما حازه من أنواع النبل والبطولة، بل على وفرة قطيعه الذي يملكه، "له ثلاثة آلاف من الغنم وألف من المعز" منتشرة في مراعي الجنوب. هناك أربعة أنواع من العظمة؛ فاختاروا لنفسكم أيها الشباب، أفضلها، كهدف لكم في الحياة، إن أحقرها هي عظمة الثروة، والممتلكات، وأفضل من هذه عظمة الأفعال، وأفضل من كليهما؛ أن تكون لنا آراء عظيمة، نستبقيها لأنفسنا، ونذيعها للآخرين. أفضل الكل؛ عظمة الأخلاق، وجه عنايتك نحو العظمة التي تهتم بها السماء. عندما أعلن الملاك عن يوحنا المعمدان "أنه يكون عظيماً أمام الرب" كان يقصد من هذه العظمة: ضبط النفس، (خمراً ومسكراً لا يشرب)، الامتلاء من الروح القدس، (ومن بطن أمه يمتلئ من الروح)، خدمة البشرية، (ويرد كثيرين من بني إسرائيل...إلخ).
- وكان أحمق، كما قالت عنه زوجته، "لأنه كاسمه هكذا هو، نابال اسمه والحماقة عنده"

مسكينة هذه المرأة ، لقد كان لها كل الحق، بأن تتحدث عنه، هكذا، بحرقة ومرارة، وفي نفس الوقت كانت امرأة فاضلة، فلم تشأ أن تتحدث عن زوجها بهذه الألفاظ القاسية، إلا بعد أن صارت أعماله الفظة ويده القاسية، سبباً في ضياع البقية للمحبة الزوجية والاحترام الزوجي. ولعل صورة نابال، كانت ماثلة أمام عيني المسيح، عندما نطق بمثل الغني الغبي، الأحمق؛ الذي خيل إليه بأن نفسه يمكنها أن تستريح، وتغتبط، بسبب امتلاء بعض المخازن. هناك أشواق في النفس، لا تستطيع الأطعمة الفاخرة إشباعها، وهناك رغبات، لا يمكن إشباعها بمجرد جعل همنا الوحيد، إطعام الجسد ثلاث مرات في اليوم، طوال أيام الحياة.

- وكان "ابن لئيم" كما قال عنه خادمه، وهذا ما برهن عليه تصرفه مع داود، عندما قدم إليه طلب بكل أدب، وكياسة. كان فظ الطبع؛ وقحاً، غير مؤدب. إنه لا يمكن أن يكون قد جهل الأسباب التي من أجلها كان يعيش داود هذه الحياة؛ الشريدة، الطريدة. ولكنه تجاهلها، وعللها بأقسى الألفاظ، وهو إذ قال؛ إن داود قد تمرد على سيده شاول، إنما كان يداري رفض طلبة داود

بهذا التظاهر، بالولاء للقانون والحكومة. وكان يقصد أن يبين بأن داود بتمرده، يستحق أقصى العقاب. وأخيراً؛ أكد بأنه يفضل أن يعطي خبزه للذين قد تعبوا وكدوا، واستحقوه؛ مثل جزازية، من أن يعطيه لجماعة من الأدعياء الكسالى، الذين اختاروا بأن يعيشوا على الفاكهة، التي إذ تنضج، فقد تتساقط في أفواههم.

ويظهر أن ضميره لم يوبخه على كلماته القاسية، ولم يخطر بباله قط، ما قد تحدثه من نتائج سيئة؛ فإنه حالما نطق بها نسيها. وفي مساء نفس اليوم، نجده في بيته يقيم وليمة، كوليمة ملك، وقد طاب قلبه بالخمر، فأصبح لا يعي شيئاً، حتى زوجته، لم تخبره بشيء، صغير أو كبير، إلى ضوء الصباح.

٢. داود في وحدة روحه وثورة عاطفته

كانت إحدى مميزات داود البارزة، في طبعه وأخلاقه، كل تلك السنوات الأليمة؛ قوته على ضبط نفسه. لقد كان ينتظر الله بصبر، وكان يركن نفسه على وعد الله، سنة بعد سنة، وترك له أن يتمم قوله الذي جعله ينتظره (مز١١٩: ٤٩) عندما طلب منه إغاثة صقلغ، أو أنذر لتركها، لم يفعل إلا ما فعله في تلك المناسبات الأخرى؛ إذ أظهر كل خضوع وتسليم، واستدعى النبي أو الكاهن، للتأكد من إرادة الله، قبل أن يخطو خطوة واحدة، وفي المرتين اللتين فيهما أصبح شاول في قبضة يده، استطاع أن يضبط نفسه، ولم يشأ أن يبطش به. ولكن حصن ضبط النفس المنيع هذا الذي بني بطول المران؛ انهار فجأة – كحاجز البحر عند إهماله – أمام ثورة الغضب التي أثارتها كلمات نابال الوقحة. وفي ثورة غضبه، قال لرجاله "ليتقلد كل واحد منكم سيفه" فتقلد كل واحد سيفه، وتقلد داود أيضاً سيفه، وتبع داود نحو أربعمائة رجل، ولا شك في أنه ناجى نفسه بهذه الكلمات، بينما كان رجاله مسرعي الخطى وسط تلك السهول المترامية الأطراف: "إن ليّ كل الحق في هذا التصرف، لأنة لا يوجد أي مبرر لهذه المعاملة السخيفة من هذا الرجل، لقد قابل خيري بالشر، وزاد على ذلك، أنه سبني وأهانني، هذا لا يُحتمل، يجب أن احتفظ بكرامتي، لكي يعرف كل المحيطين بنا أنني ممن لا يُهزأ بهم، إنني مستعد أن أحتمل من الملك، ما لا أحتمله من أي شخص آخر سواه".

في تلك الساعة، كان داود على وشك أن يقترف جريمة تكفي لتنغيص ضميره كل حياته القادمة، تكفي بأن تملئ نفسه حزناً، وقلبه وجعاً. كلما خلا إلى نفسه في الساعات الهادئة المقدسة، وتذكر بأنه قد سفك دماً، بلا مبرر، وانتقم لنفسه، بدلاً من أن يترك الانتقام

من نفوس أعدائه؛ وبواسطة تلك المرأة الكريمة النبيلة – أبيجايل – أُنقذ داود من هذا الخزي والعار والحزن.

٣. أبيجايل؛ الوسيطة الجميلة

كانت امرأة "جيدة الفهم وجميلة الصورة" وهاتان صفتان خليقتان بأن تجتمعا معاً. لقد انطبعت أخلاقها على وجهها، على أنه ليس ضرورياً أن تجتمع هاتان الصفتان بصفة مستمرة، فكم من نساء جميلات، ولكنهن خاليات خلواً تاماً من جودة الفهم، كما أن الطيور التي تنعم بأفخر الريش، تنقصها عادة، موهبة التغريد. على أن جودة الفهم، وهي سجية أدبية، لا موهبة علمية، تعكس جمالاً فائقاً على أبسط الوجوه.

ومما يلاحظ أن هناك كثيرات من أمثال أبيجايل، يتزوجن بأمثال نابال؛ كثيراً ما ارتبطت نساء خائفات الله، رقيقات الإحساس، نبيلات الأخلاق، برباط الزوجية، الذي لا ينفصم ، برجال لا يشعرون نحوهم، بانسجام حقيقي، حتى ولو لم يحملن من نحوهم، شعور الكراهية المطلقة، والنفور الشديد. والأرجح جداً أن زواج أبيجايل بنابال، لم يكن اختيارها؛ بل نتيجة تلك العادة الشرقية القديمة، التي كانت تُرغم البنت على الزواج بمن يختاره لها أبوها، والتي لا تزال آثارها باقية إلى الآن، ولعلها قد أتت إلى بيت نابال طفلة، ثم ارتبطت به إلى الأبد كزوجة.

قد تجد الفتاة نفسها – لسوء حظها – في بيت نابال لأسباب أخرى، ألزمتها على عدم اختيار الزوج بنفسها، بسبب ضغط الظروف القاسية، أو لأنها خُدعت، بمداهنة ونفاق ورياء بعض الأصدقاء، أو الصديقات؛ لأمثال هؤلاء النساء التعسات لا توجد سوى نصيحة واحدة: أن تبقى منهن، حيث هي. فإن اختلاف الذوق، أو الطبع، لا يكفي لترك زوجك، لينحرف في تيار الشر والفساد.

اعلمي أيتها السيدة أن الله قد سمح لك بهذا النصيب المتعب، أولاً؛ لأن هذه البلوى المحرقة، كانت تتطلبها أخلاقك، وثانياً؛ لكي تكون لك الفرصة للتأثير على زوجك، فالزمي مركزك، حيث أنت الآن قد تأتيك الفرصة يوماً ما، كما أتت لأبيجايل، وفي الوقت نفسه، لا تسمحي بتلويث نفسك الطاهرة. إنك تستطيعين أن تحتفظي بها

طاهرة، عفيفة، بصفة دائمة؛ انتظري حتى يحين وقتك، كوني كعين طاهرة (وسط مياة آسنة) ترتفع من أعماق المحيط.

ولكن؛ إن كانت هنالك من بين قراء هذه الكلمات، شابة رقيقة الإحساس، نبيلة العواطف، تفكر في الزواج من رجل واسع الثروة، سامي المركز، بغض النظر عن الأخلاق، فلتعلم بأن ارتباطها برجل كهذا، لغرض كهذا، إنما هو إفساد للمثل الأعلى الذي رسمه الله، ولا ينتهي إلا إلى طريق واحد؛ هو أنها لن تستطيع أن ترفعه لمستواها، بل لابد أن تنزل هي إلى مستواه، وطبيعتها الرخامية، لن تغيّر طبيعته الطينية، بل تصير خشنة مثلها.

كان خدم نابال، يعرفون أخلاق سيدتهم، ويثقون بحسن تصرفها في هذا الطارئ الذي حل بهم، ولذلك؛ قصوا عليها الأمر كله. أما هي؛ فإنها أمسكت بناصية الحال توا، وأرسلت بعضاً من رجالها، حاملين مئونة في الطريق الذي لابد أن يتخذه داود، وتبعتهم وهي راكبة على حمارها، بعد ذلك، قابلت رجال داود في سترة الجبل، نازلين للانتقام. وقد دلت هذه المقابلة على ذكائها، كما دلت على طيبة قلبها. إن تواضعها المتناهي، الذي بدا في سجودها عند قدمي داود، واعترافها بصراحة، بالإساءة التي ارتُكبت، واعترافها بالشكر الجزيل، لعدم انتقاد داود لنفسه، وسفك دماء أعدائه، وتحقيرها للهدية الكريمة التي قدمتها، إذ قررت بأنها غير جديرة إلا بعبيده، وتقديرها العظيم لرغبته، في عدم خوض غمار أية معركة سوى "حروب الرب" وعدم تلوث سمعته، وإدراكها عن بعد ذلك، لذلك اليوم الذي يضمن فيه مستقبله، ويبكم أعداءه، واقتراحها بأن لا يجعل هناك ذكريات قاتمة، تزعج ضميره في تلك الأيام القادمة. كل هذا؛ دل على مقدار جمال نفس تلك المرأة، وحكمتها، وكل هذا؛ أعاد داود إلى طبيعته النبيلة.

وهنا نرى داود – كما تعودنا أن نراه في كل المناسبات – يظهر منتهى النبل والصراحة، لا يتردد لحظة في الاعتراف بشكره العميق لهذه المرأة الجميلة، التي شعر بأنه مدين لها بفضل جزيل، والتي رأى في توسطها، تدخلاً من قبل العناية الإلهية، لمنعه عن ارتكاب الشر. "فقال داود لأبيجايل: مبارك الرب إله إسرائيل، الذي أرسلك هذا اليوم لاستقبالي، ومبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتني اليوم من إتيان الدماء، وانتقام يدي لنفسي".

ألا نجد هنا إعلاناً للخدمات التي يحاول الله بها إبعادنا عن طرقنا الشريرة؟ قد تكون هذه الخدمات أحياناً، تافهة، وقليلة الأهمية، وهادئة صامتة. قد تكون لمسة امرأة لمعصم يدنا، قد تذكرنا الأم بأمومتها، أو الزوجة بعهودها الأولى، أو الطفل، بنظرته التي تبعث العطف، والشفقة، وقد تكون فكرة مقدسة، تبعث في القلب حسرة، و ندامة. كم من مرة كان ممكناً جداً، تجنب بعض التصرفات التي سببت لنا آلاماً دائمة، وحسرة لا تنقطع، لو أننا أصغينا إلى تحذير الله. وفوق كل تلك الأحداث والمؤثرات، التي ينادينا بها الله، يوجد تأثير الروح القدس، الذي يجاهد فينا، ضد شهوة الانتقام، ومحبة الذات، ويحاول أن يسمو بنا إلى حياة أسمى وأمجد. أيها الروح المبارك؛ تعال دائماً، والتصق بنا "في سترة الجبل" وصدنا عن تصرفاتنا الطائشة، وجنوننا، ولا تسمح بأن نلزمك بتركنا، لكي نسلك في طرقنا الشريرة، بل كن معنا كل الأيام، وإلى انقضاء الدهر؛ فندين لك بشكر أبدي.

وما أجمل ما تنتهي به هذه الرواية؛ فإن نابال مات بنوبة سكتة قلبية، سببها سوء تصرفه، أو استياؤه من تصرف زوجته مع داود ورجاله، وفكر داود في الزواج من تلك المرأة، التي شعر بأنه مدين لها بالفضل الجزيل، أما هي، فقد قبلت هذا الزواج الذي شعرت بأنها ليست أهلاً له "وقالت هوذا أمتك لغسل أرجل عبيد سيدي".

إنني أعتقد بأن كل الروايات التي تمسها يد الله تنتهي حسناً؛ إما في هذه الحياة، أو في الحياة الأخرى هذا هو إيماني والذي أجد فيه تعزية جزيلة.